المحاضرة: (11)

- النظرية الحتمية التكنولوجية:

(Théorie du déterminisme technologique)

- المقاربة السوسيولوجية لمتغير تكنولوجيا الإعلام والاتصال (TIC) الحديثة من منظور الحتمية التكنولوجية، تتمثل في بنيتها كنسق بلغ مستوى من التطور من حيث التصميم والهندسة والإبداع، وعن القوة والتأثير والهيمنة (domination) التي يمكن أن تشكلها ضمن محور الأنساق المجتمعية، وكذا علاقتها بنمط مجتمع الإعلام والاتصال وتنوع وتعقد (complexité) علاقات الاستخدام المتصلة بها.

وباعتبار الحتمية التكنولوجية تصورات (représentation) لتطور وسائل الاتصال وتأثيراتها على المجتمعات الحديثة،[1] فالنظام التفسيري (système explicatif) لهذه النظرية يتحدد:

- ضمن محور اندماج تكنولوجيا الاتصال والمجتمع، وكذا نسق التصور في تشخيص وتحديد ممارسة الاتصال التفاعلي (La communication interactive) كقيمة.
- تحليل العلاقات المكثفة والغموض مجال الاستخدام وإعادة قراءة وتفعيل المضمون بمستوى قيمي، باعتبار تكنولوجيات الاتصال مؤسسات للتنشئة ذات طبيعة اجتماعية وثقافية "أخلاقية وتربوية".
- الاختراعات مؤثر محوري وأساسي على بنية المجتمع (La structure de la société)، فالموضوعات والجمهور يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، وإن تطور وسائل وعمليات الاتصال مرتبط بحياة الناس وبأنماط الحضارة الإنسانية على اختلاف الأمم وتباين الأجيال".[2]
- حتمية النظر إلى تكنولوجيات الاتصال من حيث أنها مؤسسات لنشر المعلومات المختلفة، والاهتمام أكثر بقراءة مضمونها من حيث عملية تشكيل المعلومات عند

[1] – *marchal mcluhan*: *Quenian fiore. The median is the massage. An inventory. N.Y. bantam books. 1967. P.35.*

[2] – منال المزاهرة: نظريات الاتصال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2011م، ص.361.

مستوى قيمي، وتحليل طبيعة هذه التكنولوجيات نظرا لتعقد الاستخدامات الاجتماعية (Usages sociaux) الأكثر تواترا لدى أفراد المجتمع المعاصر.

وعليه حتمية تحليل غموض العلاقة بين ثقافة المجتمع وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، ودور الوعي الاجتماعي (conscience sociale) في التفاعل بين المتغيرين، وتفكيك إشكالية اعتبارها أدوات للتنوع أو التجانس الثقافي أو التغير الاجتماعي، فالنظرية الحتمية التكنولوجية لم تأخذ في الاعتبار الاختلاف الثقافي(La différence culturelle) من حيث التركيبة والخصوصية، كما أن العلاقة بين بين تكنولوجيا المعلومات والمجتمع وحسب (louis mumfrod) لا تفرض التغيير ولكنها تهيأ الظروف، والتغيير الاجتماعي نفسه مرتبط بأسلوب استخدام الفرد للتكنولوجيا.[1]

- **النظرية الحتمية القيمية:** (la théorie du déterminisme de la valeur)

المقاربة السوسيولوجية لمتغير القيم (valeur) ضمن حقل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة ومن منظور النظرية الحتمية القيمية، تتمثل في مكانة القيمة للأنساق والبنيات (structures) ضمن محور النسيج المجتمعي، المشكلة لتحديد الأدوار وتوظيفها وبناء شبكة من العلاقات وحصانتها والارتقاء بها، وذلك وفق علامات استدلال قيمية تساهم بشكل أساسي في عمليvة التنظيم الاجتماعي.

وباعتبار القيم ضمن محور النظام التفسيري (système explicatif) للنظرية الحتمية القيمية هو اعتبار القيمة ما يسمو ويرقى من الدلالات ومصدرها المعتقد الديني "القرآن الكريم محور مركزي للنظرية"، تهتم بتحليل المضمون على أساس: من؟ ماذا؟ لمن؟ في أية وسيلة؟ وبأي تأثير؟ وعليه فالنظرية الحتمية القيمية أداة منهجية تدرس مدى حضور المنظومة القيمية في الحقل الاجتماعي، ويمكن أن تتجسد في سلوك الفرد (le comportement individuel) بالأبعاد الآتية:[2]

[1]– المرجع نفسه، ص.78.

[2]– عبد الرحمان عزي: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطية للنشر، تونس،2012م، ص.85.

- (البعد الإيماني: الإيمان بالله، أداء العبادات، البعد التواصلي: حسن التواصل مع الآخر، البعد الزمني: احترام الوقت، البعد المكاني: الاهتمام بالفضاء العام، البعد اللساني: توظيف الكلمات الإيجابية القيمية، البعد النفسي: ضبط النفس، البعد الاجتماعي: التفاعل، البعد الاقتصادي: احترام العمل، البعد التربوي: حب العلم، البعد السياسي: الشورى، البعد الجمالي: الذوق، البعد الإنساني: حب الإنسان كإنسان واحترام التنوع الثقافي).
- تفعيل القيمة باعتبارها الطاقة المعنوية الروحية في تعبير مالك بن نبي، وباعتبارها في المرحلة التاريخية الحاضرة معطلة ودون فعالية اجتماعية.
- حتمية تفعيل وتوظيف الوعي كواجب أخلاقي على مستوى الوحدات النسقية للبناء المجتمعي، والذي يتطلب أحيانا "الشك قبل اليقين" على حد تعبير أبو حامد الغزالي، والتأكيد على الجهد الشخصي وإثبات الوجود في اكتساب القيمة، وحتمية إدراك أن الثابت يرتبط بالحقائق الإيمانية.[1]

وضمن سياق قوة تكنولوجيا الاتصال وكثافة بنيتها المعلوماتية وتعقد الاستخدام، ومواصفاتها الاتصالية الأساسية المسيطرة في فترة من الفترات، والتي تؤثر في كيفية التفكير وكيفية تنظيم المجتمعات أكثر من مضمون الرسالة الاتصالية، وعلاقة التحول في تكنولوجيا الاتصال والتحول في التنظيم الاجتماعي،[2] فحتمية القيم واجب أخلاقي يتشكل وفق مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل،[3] وأن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية الأخلاقية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء، وتفعيل اللغة بشكل أساسي في عملية التواصل ضمن الحقل الاجتماعي.

- **نظرية الإنماء الثقافي:** (Théorie du développement culturel)

[1]– عبد الرحمان عزي ونصير بوعلي: حوارات أكاديمية حول النظرية الحتمية القيمية في الإعلام، دار الورسم للنشر والتوزيع، 2011م، ص.15.

[2]– بشير العلاق، مرجع سابق، ص.84، 85.

[3]– عبد الرحمان عزي: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سابق، ص.144.

النظـام التفسـيري لهـذه النظريـة يتحـدد ضـمن محـور تفاعـل المسـتخدمين ثقافيـا بمضـامين تكنولوجيـا الاتصـال، وعـن قـوة التثـاقف (acculturation) التـي يمكـن أن تشـكلها ضـمن المجـال الاجتمـاعي، وتشـخيص هيئـات تكنولوجيـا الإعـلام والاتصـال (tic) مـن حيـث انتـاج المضـمون، وتحليل الرسالة وفق علامات استدلالية قيمية (normes sociales)، ومدى دور مضمون الرسالة الإعلامية في تفعيل عملية الوعي لدى المستخدمين.

وفي ظل الحضور المكثف لتكنولوجيات الاتصال الحديثة، نجد نظرية الإنماء الثقافي ومن منظور وظيفي (fonctionnel) تسهم في معالجة محتوى وتأثيرات وسائل الاتصال، كما يحاول أصحاب هذه النظرية تكوين الرأي العام على المدى البعيد "مواقف وأذواق واختيارات"، والكشف عن المحددات والتصورات من خلال تحليل مضمون وسيلة الاتصال.[1]

وضمن سياق النظرية فقد ربط جورج غربنر (George Ejrebnr) وزملاءه بين كثافة المشاهدة وبين سلوك المشاهدين واتجاهاتهم، حيث أصبح المشاهد متغيرا ثابتا في كل الفروض والدراسات الخاصة بعملية الغرس،[2] أي اعتبار الحقل الثقافي (Le domaine culturel) مجال أساسي ثابت يتشكل فيه الوعي والإدراك، يرتقي إلى عملية تفعيل ونسج وتنظيم العلاقات الاجتماعية (les relations sociales)، أي تتأسس وتتحدد فيه طبيعة الأدوار (les Rôles) داخل السياق الاجتماعي بشكل منتظم.

وإلى جانب ذلك فإنها تساعد المستحدثات التكنولوجية على زيادة وتنوع الرسائل، فهي تزيد من القوة والاختيارات التي تدعم عملية الغرس وأهدافه،[3] وكبحوث مستقبلية فإنه يمكن أن تطبق نظرية الغـرس الثقـافي مـن خـلال علاقتهـا بوسـائل الاتصـال الجمـاهيري الحديثـة وأهمهـا الإنترنـت (Internet)، حيث يمكن الإفادة من الأفكار العامة للغرس الثقافي في الكشف عن العلاقة بين

[1]– بشير العلاق، مرجع سابق، ص.82.
[2]– محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص.64.
[3]– المرجع نفسه، ص.269.

الواقع الاجتماعي كما يعبر عنه المضمون الاتصالي بالإنترنت، ورؤية الجمهور لواقعه الاجتماعي ويمكن أن يعتمد هذا الاتجاه على أربع استراتيجيات تتمثل في:[1]

- دراسة معدل انتشار وتبني الإنترنت في دول معينة وقياس الفجوة الرقمية داخل هذه الدولة.
- دراسة سياسات الحضر والرقابة التي تفرضها هذه الدولة أو تلك لمواقع ومضامين معينة.
- دراسات استخدامات وإشباعات السلوك الاتصالي لجمهور الإنترنت في علاقته بالمواقع المختلفة في الدولة أو الدول التي خضعت للدراسة.
- تحليل الأفكار والنماذج الأكثر تكرارا في هذه المواقع.
- دراسة أثر السلوك الاتصالي نحو الإنترنت على رؤية الجمهور للواقع الاجتماعي.

[1]– بسيوني إبراهيم حمادة: دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008م، ص.119.